بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أعزي صاحب الزمان (عج) بوفاة جده الأطيب الأطهر رسول الله (ص)، وأريد أن أحدثكم[1] بهذه المناسبة العظيمة التي –كما في بعض الروايات– هي أعظم مصيبة حتى أنها أعظم من مصيبة شهادة الإمام الحسين (ع)، أرجو أن يجعل الله في حديثي الذي آخذ فيه وقتكم العزيز خيرا ونفعا لي ولكم

الظاهرة الموجودة الآن بشكل عام أن ذكر رسول الله (ص) لا يدخل في تشكيل حياة الناس، فسواءً ذكروه أم لم يذكروه، سواءً صلوا عليه أم لم يصلوا عليه، سواءً كرروا الشهادة بنبوته أم لم يفعلوا، فلا شيء يتغير في حياتهم، في حين أن النبي (ص) لو عُرف حق معرفته لدخل في نفس المؤمن وأصبح أهمّ جزء من كيانه، قد يغفل المؤمن عنه (ص) أحيانا لكن دائما يرجع إليه، لهذا أتحدث بهذا الحديث المختصر برجاء وبأمل أن أثير فيكم ما يحيي العلاقة بيننا وبين النبي (ص)[2]

كثيرا ما سمعتم أن فاطمة (ع) تألمت جدا بوفاة أبيها (ص)، معروف ما ينقل عنها: (صبّت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا)[3]، في رواية (عاشت فاطمة (ع) بعد أبيها خمسة وسبعين يوما لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين –الاثنين والخميس– فتقول هاهنا كان رسول الله (ص) هاهنا كان المشركون)[4]، فهي (ع) كانت تنفّس عن همّها، ما الذي افتقدته فاطمة (ع)؟ هل افتقدت مجرّد أب؟ أم أن النبي (ص) كان يشكّل جزءا من كيانها وشخصيتها بحيث لم يكن من الممكن أن تنساه؟

وكذلك كان أمير المؤمنين (ع) ولمدة ثلاثين سنة بعد وفاة رسول الله (ص)، يُنقل أنه (ع) كان دائم الذكر للنبي (ص) لا فقط بلسانه بل في كل تفاصيل حياته، في رواية أن شخصا دخل عليه (ع) في يوم صائف وكان (ع) يتغدى، يقول: (فوجدته جالسا بين يديه صحيفة فيها لبن حازر، أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف أرى

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ٢٨ صفر ١٤٢٦، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) بيّن السيد (قدس سره) في كتاب (هكذا آمنت ٢) كيفية التعرف على النبي (ص) والاقتراب منه والإيمان به بطريقة واقعية ميسّرة...

(٣) المناقب (٢٠٨/١)

(٤) الكافي (٢٢٨/٣)

قشار الشعير في وجهه، وهو يكسر بيده أحيانا، فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه...، قال فقلت لجاريته وهي قائمة بقريب منه: ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاما مما أرى فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدم إلينا أن لا ننخل له طعاما، قال: ما قلت لها فأخبرته فقال: بأبي وأمي من لم ينخل له طعام ولم يشبع من خبز البُر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز وجل)[٥]، وفي رواية أخرى عنه (ع): (يا أبا الجندب أدركت رسول الله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، فإن أنا لم آخذ به خفت أن لا ألحق به)[٦]، فكان (ع) دائم الذكر للنبي (ص) في ملبسه في مطعمه في حياته، ويُفترض أن يكون رسول الله (ص) بالنسبة لنا كما يقول القرآن الكريم (أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ)[٧]، وكذلك هذا يحصل بشكل طبيعي لمن كان مؤمنا في وقتنا الحاضر، لأن دين رسول الله (ص) حي، الدين لا يكون حيا إلا من خلال الإمامة الحية، فيفترض بنا نحن كمؤمنين أن نعيش أنّ النبي (ص) أولى بنا من أنفسنا، هذه الحالة بشكل عام غير موجودة الآن

لابد وأنك ترغب في أن تكون صلاتك على رسول الله (ص) دعاءً حقيقيا، يعني دعاء حاجة ومن قلبك ترغب أن الله يبارك ويصلي على نبيه، هذه حاجتك أنت، وتكون صادقا بشهادتك حينما تقول أشهد أن محمدا رسول الله (ص)، فأحاول أن ألفت نظرك إلى ما يساهم في تحقيق هذه الرغبة، هذه الرغبة موجودة فيك فأنت تحب أن تكون مع رسول الله في هذه الدنيا قبل الآخرة، هذه الدنيا أيام قلائل سواء طال عمرك أم قصر فعليك أن تعرف سنة رسول الله (ص) وطريقته لتحشر معه حيث رضوان الله عز وجل، فمعرفته (ص) تجعل ذكرنا له ذكرا حقيقيا

نفس الإنسان مخلوقة طالبة للكرامة، يعني كل إنسان يريد ويرغب أن تكون له كرامة، يعني يرى لنفسه كرامة، شخص يسبّك أو يهينك فتتأذى لأنك تجد لنفسك كرامة، شخص يكرمك تشعر براحة نفسية وهذا يعني أن نفسك مخلوقة لترغب في الكرامة، هذا أنت تعرفه إذا راجعت نفسك، لكن هذه الرغبة الفطرية تنحرف في أحيان كثيرة، فبدلا من أن تسير في الاتجاه الصحيح حيث تتحقق الكرامة الحقيقية للإنسان بدل ذلك يبحث الإنسان عن الكرامة في الأشياء الدنيوية، في المال في الجاه في الشهوات، لأن الشيطان يزيّن له المال ويقول كرامتك في المال وفي الجاه ويشعر بأنه كريم! فيقال لهؤلاء في الآخرة (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)[٨]

---

[٥] بحار الأنوار (٣٣١/٤٠) نقلا عن كشف الغمة

[٦] المناقب (٣٦٧/١)

[٧] (الأحزاب: ٦)

[٨] (الدخان: ٤٩)

لكن في قرارة نفس الإنسان تبقى فطرته ترفض هذا، فإذا قيل لهذا الشخص أنا أكرمك لأجل مالك، فهل يرضى بذلك؟ لا يرضى، لأنه مخلوق لأن تكون كرامته ناتجة عن ذاته وشخصه لا عن أشياء من خارجها، هذه الكرامة المطلوبة، فالإسلام يهدي هذه الكرامة الفطرية فيقول طلبك للكرامة طبيعي لكن انتبه هذه الكرامة لا تضل، يجب أن تبحث عن الكرامة التي تشعرك بالاعتزاز بها، إذا أناس قالوا لك أنت عزيز لهذا ونحن نحترمك لهذا، فتشعر بالاعتزاز يعني نفسك تتجاوب معه، والإسلام كذلك يوجِد لك وسيلة لتحقيق هذه الكرامة

في عهد النبي (ص) كان أكثر المؤمنين فقراء، سلمان، أبو ذر، عمار وغيرهم كذلك، أُمر النبي (ص) بأن يصبر نفسه معهم (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)[9]، هؤلاء كانوا يشكّلون قطب ومحور تلك الأمة هؤلاء كانوا فقراء كانوا جائعين، النبي (ص) كان يشد الحجر على بطنه من الجوع[10]، أصحابه لم يكونوا يملكون المال ولا الجاه –حسب المقاييس الظاهرية– لكن كان كل واحد منهم يجد لنفسه كرامة وعزّا وشموخا، حاول أن تقرأ تاريخ عهد النبي (ص) الأطيب الأطهر فسوف تجد أن ذلك الإنسان الحافي والجائع والذي لا يملك من الدنيا شيئا لكنه في نفس الوقت يملك كرامة ويريد أن يغير العالم

في غزوة بدر كانوا لا يملكون من وسائل الدنيا إلا القليل القليل، أحد المشركين أتى ليرصدهم ورجع قال هؤلاء قليلون ولا يملكون أي أسلحة، لكن هؤلاء مختلفون ليسوا أهل يثرب الذين كنا نحن نعرفهم[11]، هذه الكرامة هي التي غيّرت أحوالهم، فهم كانوا يبحثون عن الكرامة في داخل نفوسهم، ويطلبون رضوان الله فقط، وكانوا يكبّرون الله فصغرت الدنيا في نظرهم هذا تحقق في الواقع، فلم يكونوا يبحثون عن الكرامة في المال ولا في الجاه ولا في اتباع الشهوات والملذات

أنت كثيرا ما سمعت هذا النوع من الكلام، والكلام سهل من الممكن أن أي شخص يتكلم به، لكن حينما تَجسّد في الواقع في عهد النبي (ص) وأخرج الله خير أمة، هذه الكرامة بدأت تُلحظ حتى من قِبل المشركين، الآن كذلك إذا شخص تراه لا يبحث عن كرامته في وسائل الدنيا بل تجد أن له كرامة في قرارة نفسه فلابد وأنك تلحظها، فكيف تحصل هذه الكرامة الحقيقية التي تعرفها النفوس؟

---

[9] (الكهف: ٢٨)

[10] كتاب مسلم (١٦١٤/٣)

[11] سيرة ابن هشام (٤٥٤/٢)

هذه الكرامة تحصل من خلال الكتاب والمولى، النبي (ص) في عهده كان هو المولى، وبعد ذلك أمير المؤمنين (ع) وبعده الأئمة (ع)، الآن أنت لو كنت تبحث عن الكرامة الحقيقية فأنت بحاجة إلى من يذكرك بها وبحاجة إلى من يعينك عليها، فابحث عن مؤمن يسندك ويعينك لتعرف هذه الكرامة

في داخل نفوسنا توجد رغبة إلى هذه الكرامة –لا الكرامة الزائفة التي تحصل من الدنيا– فإذا كان هذا الطلب الموجود في فطرتك نشطا وبدأت تسعى له ثم تعرّفت على سنة النبي (ص) الآن تبحث عن مستلزمات هذه الكرامة وكيف تتحقق وبماذا تتحقق؟ تتحقق بسنة رسول الله (ص) وبطريقته، هذه الطريقة لابد أن تعرفها

فإذا كنت تعيش هموم الناس ومشاكلهم فلا تستطيع أن تتمتع بالطعام إذا كان هنالك أناس جائعون، فأنت أكبر من نفسك، أنت أكبر من شهواتك، أنت أكبر من نطاق شخصك ومن أسرتك ومن المحيط الذي تعيش فيه، فأنت مخلوق لترغب في إصلاح العالم، هذه هي الكرامة

الآن كيف أحقق هذه الكرامة؟ كيف أحقق رغبتي في إصلاح العالم؟ هؤلاء المسلمون الذين كانوا في عهد رسول الله (ص) لم يكونوا مثل الناس –الآن– الذين حينما يختلون بأنفسهم يفكرون في مزيد من الراحة والملذات ويحلمون بها، في عهد النبي كانوا يفكرون ويحلمون كيف يُخرجون الناس من عبادة الدنيا إلى عبادة الله وحده، كانوا يحملون همّ تحرير الناس

كل إنسان يعرف هذه الحقيقة التي أشرت إليها، فمثلا حينما تحترم شخصا ثريا وتقول له بأني لأجل ثروتك أحترمك فسوف يتأذى، لأنه فطريا هو مخلوق أكبر من المال، أكبر من الدنيا، أكبر من شخصه، أكبر من ملذاته، فالإنسان أكرم من كل ذلك، فهذه الكرامة كيف أحققها؟ وما هو الطريق الذي يساعدني على تحقيق هذه الكرامة؟

الإنسان مخلوق بحيث يشعر بمسؤولية تجاه العالم كله، فذلك المسلم الحافي الجائع في عهد النبي (ص) حينما كان يختلي بنفسه كان يفكر كيف بإمكانه أن يجعل كسرى وقيصر وغيرهم يعبدون الله وحده ويتحرّرون من عبادة الدنيا ليجدوا أنفسهم وكرامتهم، هذا السمو تحقق في ذلك الحين، وأنت إذا كنت راغبا في كرامة نفسك وطالبا لها وتريد أن تحققها فهنا بصورة طبيعية تبحث كيف تحققت تلك الكرامة العظيمة للمسلمين في عهد النبي (ص)؟

في رواية أنه (جاء رجل موسر إلى رسول الله (ص) نقي الثوب فجلس إلى رسول الله (ص) فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه فقال له رسول الله (ص) أخفت أن يمسُّك

من فقره شيء قال لا قال فخفت أن يصيبه من غناك شيء قال لا قال فخفت أن يوسخ ثيابك قال لا قال فما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله إن لي قرينا يزيّن لي كل قبيح ويقبّح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي فقال رسول الله (ص) للمعسر أتقبل قال لا فقال له الرجل ولم قال أخاف أن يدخلني ما دخلك)[١٢]، يعني أنه كان يخاف على نفسه وكرامتها وعزّها من أن يصيبها هذا الذي أصاب ذلك الشخص، هكذا كانوا

تحب أن تكون هكذا؟ هذا ميسور لك، في الخارج قد لا تستطيع أن تكون كما كانوا لأنه كانت هناك ولاية قائمة لرسول الله (ص) لكن في قرارة نفسك تستطيع أن تكبر على كل هذه الأشياء، فهنالك بصورة طبيعية يدخل النبي (ص) حياتك ولا يمكن أن تنفصل عنه، تصبح أنت بفطرتك وبحياتك كذلك تابعا لرسول الله (ص) فكلما ذُكر النبي قلبك يصلي عليه، وحتى إذا لم يُذكر فأنت تذكره تستند إليه وتلجأ إليه وتجده مولاك أولى بك من نفسك، تعيش وتنتظر فرجه المتمثل في ابنه القائم الأمل (عج)، فيصبح لسان حالك: يا رسول الله إني أعيش على هذا الأمل، لولاك ولولا سنتك ودينك المتمثل في من أنتظره، لولا ذلك لا قيمة لهذه الحياة

كذلك كان المسلمون في عهد النبي (ص) ونحن لو عرفنا هذا لابد وأن تصبح صلواتنا على رسول الله صلوات حقيقية: إلهي خذ منّي ما تشاء وصلّ على نبيك، إلهي أنا مستعد أن أموت في سبيل رسولك، إلهي أعلِ شأنه، ولا أريد شيئا لنفسي أريد أن أعيش لأكون من أمة نبيك، آكل لهذا وأنام لهذا وأتزوج لهذا وأعيش لهذا، هذا ميسور للجميع، ابدأ واطرق هذا الباب، قم في هذه المناسبة العظيمة التي هزّت خير الناس، هزّت فاطمة (ع)، هزّت أمير المؤمنين (ع) يقال إنه كان يبكي بكاءا طويلا، ساعد الله قلب أمير المؤمنين (ع) كيف استطاع أن يضع جسد النبي الطاهر في قبره الشريف وودعه

أعتذر منك أخذت من وقتك العزيز وأرجو أن يسجله الله في حسابك، وأن يجعل الله لنا في هذه المناسبة بداية استيقاظ وانتباه وقيام للشهادة الصادقة بنبوة النبي والدعاء الصادق له، وذلك بمعرفة طريقته (ص) والتي تتمثل في طريقة الأئمة (ع) فيكون في داخلنا عزّ المؤمن وكرامته، وحينما نُحشر معا وتتجسد هنالك الروابط فتقول: ربي هذا تكلم بكلام أثر فيّ فأرحمه برحمتك، فالله تعالى يرحمني، هكذا أرجو، والحمد لله رب العالمين

---

(١٢) الكافي (٢/٢٦٢)